مكتبة المقتطف

انساب الاشراف للبلاذري

القسم الثاني من الجزء الرابع — ١٧٢ ص القطع ٢٤ س التعليق من القطع الكبير — نشره ماكس شلوسنجر Schlossinger بمدينة القدس ١٩٣٨ ، وظهر ١٩٣٩) في مطبعة مدرسة الآباء البيض للجامعة العبرية

قد سبق لي هنا كلام على الجزء الخامس من « أنساب الاشراف » للبلاذري الذي نشره في القدس ايضاً الاستاذ جوتشين Goitein وكان ذلك الجزء فاتحة الاجزاء المعدّة للنشر. وهذا القسم الثاني من الجزء الرابع يتلوه. ومداره أخبار يزيد بن معاوية وآله، ثم فيه أخبار ولد زياد بن أبي سفيان (ابن أبيه) ولاسيما عبيد الله بن زياد، وأخبار محاربة الخوارج، وأخبار الحكم بن امية وآله ولاسيما عمرو بن سعيد الأشدق، وأخبار ابي العيص بن امية وولده، وينتهي الجزء بعثمان بن العاص بن أمية

وفي هذه الأخبار ما لم يذكره أحد من أصحاب التواريخ، من ذلك ما وقع ليزيد بن معاوية في خلافته وما نُسب اليه من الشعر، ومن ذلك ماكان من أمر الخوارج، ويقول الناشر هنا بأن البلاذري كأنهُ عوّل على مصدر لأحد من الخوارج لم يصل الينا

وقد جاء نشر هذا الجزء على أتم شكل من جهة الإخراج العلمي، فقد تحرى الناشر الدقة في تدوين المتن، ثم عمل له تعليقات جعلها في كتاب قائم برأسه. وقد أثبت في هذه التعليقات روايات المتن في الاصل إذا هو خالفها ثم أشار إلى المصادر العربية الاخرى التي جاءت فيها الاخبار الواردة في ذلك الجزء من أنساب الاشراف، رغبة في الايضاح وإتمام الفائدة. وهذه التعليقات حقيقة بأن نغتبط لها وبأن نقدر فضل صاحبها. ولو تمنّيتُ شيئاً بعد هذا قلت: ليت الناشر جعل روايات الاصل في هامش المتن لا في كتاب مستقل عنهُ فيراجع القارىء ويعارض فوره بدلاً من أن يترك نصّاً بين يديه ثم ينطلق يفتش عن أصله في هامش كتاب آخر أو يبحث عن النص الذي بين يديه رواية في الأصل قد عدل عنها الناشر؟ وعسى أن يلتفت الناشر واصحابه الى هذا الامر بعد اليوم — وبعد، فقد رقمتني أشياء في المتن أحب أن أعرض بعضها عليك:

ص ٧ س ٢، ٢١:

فان مني ذمة من يزيد ... وإني اعوذ بسلاسكا
من أن أظلم اليوم أو أن تطيـــع بي الكاذب الآثم الآفكا

والوجه : من ان (بهمزة وصل ، وهي من ضرائر الشعر) حتى يستقيم الوزن

ص ١٠ س ٩،٥ :

إذا ما قريش فاخرت بطاريفها فخرت بمجد يا يزيد تليد
بمجد امير المؤمنين ولم يزل أبوك امين الله جدّ رشيد
به عصم الله الأنام من الردى وأدرك نيلاً من مآثر صيد

ولعلّ الوجه : «بجد رشيد» (والمعنيُّ : معاوية)؛ وفي رواية الاغاني : غير بليد . ويقول هنا الناشر : ربما عنى الشاعر خالد بن يزيد ، وهذا من باب التأويل المرسل ارسالاً

ص ٥٠ س ٤: امراءة من الخوارج — والصواب : امرأة

ص ٦٢ س ١٤ : قال معاوية بن يزيد في الخلافة : والله ما تمنّي حيًّا أفأحملها ميّتاً — والصواب : ميْتاً. فالتعالم ان الميّت (والمائت) هو الذي لم يمت بعدُ ، وأما الميْت فهو الذي مات (راجع القاموس مثلاً) . وقد أراد معاوية المعنى الثاني ، ودليل ذلك ما رواه البلاذري (ص ٦٣ س ٢٠ وراجع ص ٦٥ س ٦) لما حضرت الوفاة (معاوية بن يزيد) قيل له لو استخلفت فقال كفيتها حياتي ، واقتضتها بعد موتي ؟ فأبى »

ص ١٣٤ س ٨ و ٩ : ان سعيد بن العاص كان جالساً ومعه قوم وهو يحدثهم فسقط جدار على قوم فانقضوا الاّ فتى ثبت معه حتى اتمّ حديثه ... — والوجه : على القوم

ص ١٣٨ س ٧ : ولقد ضرّستني الامور وجرّستني الدهور — ولعل الوجه : ضرّستني بتشديد الراء للازدواج بشر فارس

فلسفة الطب

أو هو الامراض انفسها — تأليف الدكتور حسني سبح — أستاذ الامراض الباطنية وسريريها ورئيس المعهد الفني الطبي الميري — مدرسة الجامعة السورية بدمشق — صفحاتها ٤٧١ + ١٠ من القطع الكبير ٢٤ ليرة

هذا كتاب نفيس في ما يتحف على القارئ صفحة ما كان ليقدم عليه الاّ عالم متمكن وكاتب متمرس بصناعة القلم . ففي صفحاته المتوالية تنتظم النظريات والآراء العلمية التي هي وراء حقائق الطب الحديث واساليبه . هنا دراسة الوراثة (وهي جزء من دراسة أسباب المرض الباطنية) وهنا بحث المؤثرات الكيميائية من أغذية وسموم وغيرها (وهو جانب من دراسة اسباب المرض الخارجية) . وهنا ايضاً باب كبير في التغذية والتبادل الغذائي وآخر في الغدد الصمّ ومفرزاتها الباطنة . ولو نحن شئنا ان ننقل سجلّ محتويات الكتاب فقط لما اتسعت لذلك اربع صفحات من هذا الباب . وانما يجد القارىء في ما تقدم مثلاً على خاصة ما تنطوي عليه صفحاته

يقول المؤلف في تولئته « ويعتبر الطب من هذه الوجهة علماً وفنًّا وصناعة معاً . فهو علم يطراز درسته والاحاطة به . وفن بطريقة ممارسته وما يتطور ذلك من دائم التغير والتبديل تبعاً لناموس الارتقاء . وهو صناعة لانهُ مورد رزق لمحترفه . والطب في عصرنا نتيجة جملة علوم وفنون ومحصلها ٠٠٠٠ » . وما عليك الاَّ مطالعة بضع صفحات متوالية من هذا السفر الجليل لتدرك ما عاناهُ المؤلف في تتبع بحوث الكيمياء والطبيعة والكيمياء الحيوية والفسيولوجيا وغيرها علاوة على علوم الطب المختصَّة لكي يخرج من مطالعته وبحثه بهذه الصفحات اليسيرة للمطالع المفيدة للطبيب

كنا نكتب الفصل الاول من مقتطف هذا الشهر عند ما تلقينا هذه الهدية النفيسة ، ففتحنا الكتاب على غير قصد فافتتح عند الصفحتين ٤٨٨ و ٤٨٩ فوقع نظرنا على لفظ acetylcholine واسم كانون Cannon فاذا البحث الذي تنقلهُ عن عدد حديث من مجلة اميركية يجعل اجمالاً عليًّا طيبًّا في هذا الكتاب . واذا اعوزنا الدليل على ان المؤلف استقصى احدث ما خرج من مسائل البحث مما يمتُّ الى الطب بصلة فهذا وغيرهُ الدليل القائم

وفعلٌ معجم المصطلحات العربي الفرنسي الذي ذيَّل به الكتاب أنفس اجزائه وهو في ٤٣ صفحة كل صفحة منها تحتوي على نحو اربعين لفظاً عربيًّا مرتبة على حروف الهجاء ومقابلها الفرنسي . واذا كنا نقتصر الآن على هذه الكلمة الموجزة فلأن المجال ضيِّق والرجاء معقود على العودة اليهِ في فرصة قريبة لايفائه حقه

النقود العربية وعلم المسكوكات

الاب أنستاس ماري الكرملي . مكتبة لويس سركيس بالفجالة في القاهرة ١٩٤٥ : ٢ من من قطع المقتطف

هذا سفر جديد يضيفهُ العلامة الاب الكرملي إلى خزانة الكتب العربية ، وله عليها أيادٍ لا تكاد تحصيها إلاَّ بالمراجعة والتذكر . وهذا الكتاب يتناول فنًّا لم يطرقهُ الباحثون من وجهه دون غيره . وسبب ذلك ان التصانيف العربية التي تبحث في النقود لا تزيد على اربعة ، والباقي فرع منها ، كما يقول المؤلف : وهذه الاربعة هي رسالة في آخر « فتوح البلدان » للبلاذري ، واخرى في النقود الاسلامية للمقريزي ، واخرى نجدها في الجزء العشرين من « الخطط التوفيقية الجديدة المي بانشا مبارك ، والرابعة في « تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال ، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على مقتضى ما حدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦ » تأليف مصطفى الذهبي الشافعي

والرسالة الاولى والثانية مطبوعتان ، والثالثة متداولة مع مجموعتها ، واما الرابعة فما لا يزال

مخطوطاً . وقد اهتدى اليها الاب العلامة فاقتناها . وها هو ذا ينشرها في هذا الكتاب . وقد رأى أن يسبقها بنشر الرسالتين الاولين فيزيد في تحريرهما من طريق التمحيص والمراجعة ، وفي تقريب فوائدهما بإثبات المسارد (الفهارس) واستعمال الموازنة والمقابلة . وقد أضاف الى كل ذلك ما سطره ابن خلدون في مقدمته والقلقشندي في «صبح الاعشى» بشأن السكة والنقود . ومما اسف له وتأسف انهُ لم يدخل ذلك في صلب الكتاب بل جعله تحشى عليهُ

والكتاب مخدوم ، زاخر بالتعليقات والفوائد والتنبيهات والشواهد على أسلوب عودنا الأب العلامة إياه : فن استقصاء واستطراد ، وتفنن وتفحص . ومن الكتب التي رجع اليها المؤلف الناشر : الاحكام السلطانية والتعريفات والتهذيب والعقد الفريد وفتوح البلدان وقوانين الدواوين لابن مماتي ونخب الذخائر في احوال الجواهر لابن الاكفاني (وقد نشره الأب العلامة لسنة مضت) . ولعل المؤلف الناشر رأى أن يهمل فصلاً صغيراً للخوارزمي في «مفاتيح العلوم» عنوانه « في مواصفات كتاب ديوان الخزن » وباباً في المخصص

وللكتاب بعد هذا سبعة عشر مسرداً (فهرساً) . وهذه طريقة للاب العلامة تذكر له ويمدح بها . ففي المسارد تقريب الفوائد وبذل الدقائق . ولاضيران تكون كثيرة . ومن مسارد الكتاب مسرد للعموت والالقاب والصفات المعظمة الواردة على النقود ، وآخر للموازين والمكاييل والمقاييس والآثار ، وآخر للاصلاحات والاضافات ، وهكذا ترى مبلغ فائدة هذه المسارد ، فمن الخطإ ان يقنع الناشر بالفهرس المشتمل على فصول الكتاب ومواده

المحكم في أصول الكلمات العامية

للدكتور احمد عيسى بك . مكتبة مصطفى البابي الحلبي ص ٢٥٢ من قطع المقتطف

للدكتور أحمد بك عيسى مِنَّة على اللغة العربية هي المعجم الذي عمله في النبات ، وله بعد هذا « تاريخ البيمارستانات » ، هذان هما مؤلفاه المقدمان وبهما يحق له ان يفخر ويفاخر

وقد أخرج اليوم كتاباً جديداً يدخل في فن اللهجات وهو فن مستحدث من فنون علم اللغة ، قد علا شأنهُ في جامعات أوربة ، ولم يطرق بعدُ هنا إلاَّ عرضاً أو من طريق الاشارة

والكتاب يثبت طائفة كبيرة من الالفاظ العامية ، مرتبة على حروف المعجم ، مع ما يراد منها في الاصل العربي الفصيح ، وقد حُرِّفت عنهُ من طريق اللحن الجاري على ألسنة العامة . ومزية الكتاب أن مؤلفه يورد فوائد كثيرة عند الفحص عن الاصل الفصيح اذا كان للكلمة أصل في اللغة ثم يتتبع مصدرها إذا كان مرتجلاً أو منقولاً عن لغة أجنبية . وربما عمد المؤلف الى طريق الترجيح فحاب : مثال ذلك ما قاله في « إتاترح ، أترجه » و « إتاوى » و « دوار » وربما ذهب في التخمين فجاء كلامه موضع نظر : مثال ذلك ما قاله في « شصح » وهي كلمة ر

في تعبيرات الصرفية ، وفي « أبو القعين » و « الابعد » (وفي « الا بعد » كناية اذ يجري الحديث على غير السامع في موضع ذم فتبعده عن السامع دعاء ، وعلى ذلك قول العامة ايضاً ، «فلان — البعيد — لئيم »)

هذا وكان يحسن بالمؤلف أن يرسم نبرات الحروف على وجهها في اللغة العامية فيجعل علامة للامالة بدلاً من الكسر الصريح في الحروف الممالة ، مثل لفظة « شيفتيـــي» . وذلك لان علم اللهجات الحديث يتطلب حكاية الاصوات والحركات والنبرات على ماتنطق به

ثم إننا كنا نود أن يذكر المؤلف بعض من سبقه في معالجة فن كتابه . نقول هذا وبين يدينا كتاب « تهذيب الالفاظ العامية » للشيخ محمد علي الدسوقي ، مصر ١٩٢٠ ، فقد وافق كتاب الدكتور عيسى في غير موضع

وبعد فان هذا الكتاب حقيق بأن يُعتَدَّ به ويُنتفع فهو من المؤلفات التي تخدم اللغة العربية الخدمة الجليلة وتجري الى تهذيب المنطق وتحرير اللسان ب.

في الادب المصري الاسلامي

من الفتح الاسلامي الى دخول الفاطميين

صفحاته ٢٩٠ — طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

عنوان هذا الكتاب كموضوعه يدل على اتجاه جديد في بحث الأدب العربي . فلقد كانت دراسة هذا العلم في مصر متجهة الى أدب بغداد أو أدب الشام أو أدب الجزيرة . لأن هذه البلاد الثلاثة تمثلت فيها الخلافة الأسلاميـــة العامة . ولقد أغفل الأدب المصري الأسلامي وضاعت دراسته حتى في داره . وأهملت مناهج الأدب العربي للمدارس الثانوية المصرية دراسته المطوّلة . ولم يرد لمصر ذكر فيها الاّ كلمة صغيرة سريعة اللمح عن الأدب أيام الطولونيين والأخشيديين والفاطميين والايوبيين . وهي كلمة لا تقاس بجانب الكلام الطويل المفصل عن الأدب الجاهلي أو الأدب في العصر العباسي بقسميه

ومجب جداً أن « المصرية » ذابت في الأدب كما ذابت في التاريخ العام . فقليل جداً هم الذين يعرفون أدب مصر الأسلامية من المصريين . وذلك راجع الى عوامل سياسية تمثلت على مصر حتى كتب الفقها أخيراً ان تنهض على قدميها مستوية تقول للعالم في كبرياء: هذا تاريخي ، هذا أدبي !

وكان من أثر اهتمام جامعة فؤاد الأول بهذا الموضوع أن أنشىء فيها كرسي الأدب المصري الاسلامي . فاهتم الشباب المثقف المعتز بأدب بلاده . وظهر كتاب اليوم نتيجة لهذا الاهتمام . ومؤلف هذا الكتاب يشكر كل الشكر لأنه كان رائداً من رواد القومية المصرية ممثلة في الأدب . ولقد كلفته تلك الريادة سعياً طويلاً وجهداً متلاحقاً . الاّ أنهـــا كلفته في

الوقت نفسه أسرافاً في التقدير . وله في ذلك بعض العذر . فهو محب لمصر ، والمحب دائماً مسرف والا فكيف جاز لهُ ان يستدل بهذا البيت

وما كم أمير المؤمنين بحية أكول لحيات البلاد شروب

أو بأشباهه على ان هذا المعنى من آثر مصر في أبي نواس لأن مصر بلد عصا موسى وحيّات السحرة (ص ١٨٢) . وما رأي المؤلف في المثل العربي القديم « ان العصا من العصية ولا تلد الحية الا الحية » أفأخذ من هذا ان القائل الاول للمثل لا بد ان يكون مصريًّا أو عاش في مصر . قرأت هذا الكلام فابتسمت الابتسامة التي أضعها حينما أقرأ في بعض كتب الأدب المدرسية الحديثة — عن اثر البيئة في الشعر فأجد فيها الاستدلال على بيت — ليكون — جاهليًّا — بذكر الطلل او الأبل او الحنين . وهو استدلال خاطئ ، لأن قائل هذا البيت قد يكون متأخراً جدًّا ولكنهُ تعمد في تقليد القديم

هذا الكتاب الجليل الشأن في تاريخ الادب المصري مقسم ابواباً متفرقة . تكلم فيها المؤلف الفاضل عن موضوعات جديرة بالقراءة جديرة بالتفكير ، فقد استهله بالحديث عن الادب قبل الفتح الاسلامي . وخلص من ذلك الى الفتح والحياة العقلية وفن الكتابة والشعر . ومن الحظ الحسن ان يكون للشعر نصيب عظيم في هذا الكتاب . فقد استغرق مائة وخمسين صفحة — اي اكثر من بقية الموضوعات مجتمعة — وتلك يد للمؤلف يذكرها لهُ الشعراء الاوفياء. ولا يعيب جمال تلك اليد ان المؤلف اخطأ كثيراً في نقل الابيات خطأ لا يستقيم معه وزن ولا يقولن حضرته انهُ خطأ مطبعي فلم يرد له تصويب في جدول التصويب بآخر الكتاب ولعله يعتذر من ناحية اخرى بأنه لا يلم بعلم العروض ، ولكنه قد كان له عن ذلك كله مندوحة بعرض اصول الكتاب على من لهُ بالشعر بصر ....

ونسوق هنا بعض الادلة على ما نقول ففي صفحة ٢٠٢ ورد هذا البيت

فجزى الله حاجبا فظا كل خير عنا اذا يجزيه

والشطر الاول مكسور فبحره الخفيف وليس الوزن مستقيماً ولعل حاجبا حاجبا وفي صفحة ٢٠٩ البيت الثالث

بدن ذوي الالباب ان بناءه وبانيه لا بالصين ولا النمر

والشطر الثاني منه مكسور . في صفحة ٢٢٠ البيت الخامس

لقد طهرت الارض من سوء فعله ومن وجهه ذاك الكريه المورم

والشطر الاول منه مكسور لان ثالث مفاعيلن محذوف وهو لا يحذف وغير هذا كثير وعبارة المؤلف العربية تحتاج الى شيء من التصحيح ثم ينقصها شيء من الضبط فهو يقول في

ص ٢٣٦ (وقت شعورهم) والشعور مذكر لا مؤنث ومفرد لا جمع . ويقول في صفحة ١٩١ عن ابي تمام (لم يصلنا عنه شيئاً كثيراً) والصواب شيء كثير وغير هذا كثير

وبالرغم من ذلك كله فالكتاب بمجهود طيب لمؤلف نرجو ان نرى في تآليفه المقبلة اثراً لمكوثه على كشف القناع عن أدبنا المطوي في تضاعيف السنين محمد عبد الغني حسن

ثورة الاسلام وبطل الانبياء

ابو القاسم محمد بن عبد الله

بقلم محمد لطفي جمعة — مطبعة عيسى البابي الحلبي — ٥١٢ ص — من القطع الصغير

هذه فاتحة مؤلفات الاستاذ محمد لطفي جمعة المحامي « سلسلة الثقافة الاسلامية وحضارة العرب » . وهذا الكتاب يتناول ظهور الاسلام وعلو شأنه على يد الرسول في زمن الجاهلية والوثنية العربية . وفيه اساطير جاهلية كثيرة لطيفة من فلسفة الى لغة الى عقيدة الى تاريخ . وقد عول المؤلف على طائفة من امهات الكتب العربية القديمة كالحماسة والكامل والسيرة فضلا عن القرآن وكتب الحديث . ولا بد من ان نقول ان المؤلف يجري في كتابه هذا الى تعظيم اشراق النور الاسلامي . ولكن أيحتاج في ذلك الى تنقص عهد الجاهلية وذم أهله اقبح ذم؟ فقد قال مثلاً (ص ٢٦٨) « كان الغدر من ابرز رذائل الجاهلية لم يعرفوا الوفاء والمروءة ومكارم الاخلاق إلا بعد الاسلام » . وهناك غيرهذا من ألوان المآخذ الاخلاقية على عرب ذلك الزمان . والمؤلف في هذا يجري على منوال فريق من المؤلفين المحدثين من عرب ومستشرقين وما أبعد اللوم عن الصواب ! فمن الشعر الجاهلي وأخبار الجاهلية يتبين لنا أن العرب في جاهليتهم لم يكونوا « متوحشين » كما جاء في (ص ١٠٩) وفي كتاب « العرض عند عرب الجاهلية » للدكتور بشر فارس تفصيل ذلك ، وفي فصله « مكارم الاخلاق » من كتابه « مباحث عربية » إشارات الى مواضع كثيرة فيها مثل ابن قتيبة عن فضائل عرب ذلك العهد

هذا وذا كتاب يُقرأ بسهولة كالقصة وفيه فوائد مجموعة ، وتصويره نبذة دينية حسنة

الربيع الآثم — مجموعة قصص مصرية

للاستاذ محمود كامل المحامي — ١٢٨ صفحة من قطع الجيب — دار الجامعة للطبع والنشر

الاستاذ محمود كامل المحامي من الادباء الذين برزوا في كتابة الأقصوصة . وقد نالت أقاصيصه من الذيوع والانتشار ما لم تنله أقاصيص اي أديب آخر من أدباء العربية المعاصرين في مصر . ويرجع ذلك — في نظري — الى انه فنان بمالج في أقاصيصه حياة الطبقة الوسطى المصرية » وهي طبقة عليها كل الاعتماد اليوم في ذيوع الكتب وانتشارها ، لان منها تجيء الطبقة المثقفة في مصر . ولا شك في ان معالجة حياة هذه الطبقة وتصويرها الشيء الكثير من التقرب اليها . على اننا بعد ذلك نجد هذه الأقاصيص ليست من الناحية الفنية جديرة بالنظر . وهذا كان موضع من مواضع

مؤاخذتنا على بروكلمان اغفاله الكلام عن أقاصيص محمود كامل في « تكملة تاريخ الآداب العربية » وذلك في الوقت الذي أشار فيه الى أقاصيص كتاب آخرين قد لا يجارونه في الروح الفنية والانتاج (انظر لنا مجلة المعهد الروسي للدراسات الاسلامية — عدد اكتوبر — نوفمبر ١٩٣٩)

ومن المهم ان نقول في هذا الصدد ان الاستاذ محمود كامل رأس مدرسة قصصية في الأدب العربي المعاصر، معظم أفرادها من أدباء الشباب انتظمت جهودهم على صفحات مجلة « الجامعة » و« الشهرين قصة » ومن أبرز هؤلاء الادباء : ابرهيم حسين العقاد وعادل الجمال. والحق ان محمود كامل لم ينل زعامة مدرسة قصصية في الادب المصري اعتباطاً ، فانتاجه الكبير ومايتسم به هذا الانتاج من السمات الفنية هما اللذان مهدا له سبيل هذه الزعامة. وآخر آثاره مجموعته القصصية « الربيع الآثم » وهي تجمع خمس عشرة أقصوصة بين دفتيها ، والسمة الغالبة على هذه الاقاصيص : ان الواقعية تمسك عليها مداخلها والرومانسية تأخذ عليها مخارجها ، فهي من هنا مزيجة من الفن الواقعي والفن الرومانسي. ذلك أنهُ ينقل وقائع أقاصيصه من المجتمع المصري، ويتخذ موضوعاتها من حياة الطبقة الوسطى في مصر ، ومن هنا يجيء الاصل الواقعي في فنه . غير أن هذا النقل وذلك التصوير يغلبهما جانب تغليب الاحساسات والمشاعر . ومن هنا يجيء جو أقاصيصه صاخباً بصور عاطفية ، فيسبغ ذلك على مخارج أقاصيصه لوناً وجدانيًّا (رومانسيًّا) وهذا يظهر بوضوح في أقصوصتي « صراع » و « عندما يكره الرجل » على أنك بعد ذلك تصيب غلبة اللون الباطني في بعض الاقاصيص كما هو الحال في أقصوصة « كانت أمينة » ففيها تظهر بعض معالم التفكير الفرويدي Freudism (ص ٩٤) وأقصوصة « الربيع الآثم » التي يبدو فيها التأثر بأفكار ريبو Ribot (ص ٤٣) . هذا فضلاً عما تصيبه من الاجواء الخيالية Romantique — في بعض الاقاصيص كأقصوصة « اضواء » (ص ٧٩) وعناصر المأساة (الفاجعة) Tragique في أقصوصة « الشكوى » . هي قطعة من الادب الانساني العالي . وأظن ان الوقت قد حان للالتفات لما في أقاصيص محمود كامل المجموعة من العناصر الفنية التي تجعلها حية بالشعور زاخرة بالاحساسات فتسبغ عليها قيمة أدبية خاصة

الاسكندرية — اسماعيل أحمد أدهم

نشر قريباً :

قدر يلهو

قصة تأليف الدكتور شكيب الجابري

لي وجه رفيقه صبوحاً تشرق النضرة من عينيها فدعاها الى منزله القريب يعيدان فيه بعض شراب ساخن أو طعام ، وتمكنان قرب المدفأة ريثما يبدأ وابل المطر

كانت الفتاة متأهبة لسماع مثل هذا الاقتراح الجريء ، ويقول المؤلف « نظرت الى صبي بعد ان أتيا على الطعام كله فاذا القلق مرتسم عليه ، وكانت كأنها المتحير فكروها لا بد من وقوعه .... ويقول « أعددت لها ما يلزم للنام ، ثم غادرت الغرفة ورجعت بعد دقائق فاذا الفتاة مدثرة لم يظهر منها سوى خصلات شعرها المشمشة الذهبية »

هذه الفتاة الهائمة على وجهها قصة موجعة تماثل وجائع أخواتنا اللواتي يلقين المنت الجائر والتعسف المميت من زوجات والدهن فيفرن هاربات منهن ، ومن اكتشار وجه الحياة في عيونهن ، ومن والدين وقد اغمضوا فيهن روح النفور بصدودهم عنهن وارتمائهم في احضان زوجاتهم ، وقد قصها لصديقها هذا الذي آواها بعد تشرد ، واشبعها بعد جوع ، أخذت الفتاة تقول

« في ليلة أغرمت فيها زوجة أبي بي إهانتي ، وغلى والدي في الاعضاء عليّا ، في تلك الليلة بنا عني التكرى ، وضاقت في عيني آفاق الحياة ، وأخيراً مضى بي ذهني خاطر دفع بي الى جمع ثيابي ، والتسلل محطة بقود والدي ، والذهاب الى المحطة تركبت القطار الى برلين

في برلين انكشفت لي المدينة الكبرى عن حقيقة ما انطوت عليه من فقر ودقة ، لم أدع باباً من ابواب الرزق الا طرقته ، نضبت دواهي ، أخذ الجوع بداهمني ، طردت من شرفق ، لجأت الى الحدائق العامة ، شاهدت في زواياها المظلمة شناعة شوس الرجال ، تضاءل الحياء والخوف والرهبة في دماغي ، وحين ذلك كان المجهول متجمداً في رأسي والحي تضي لي أذني ، وكان قد مات في قلبي جميع ما غرس فيه من حذر وحياء ، وخاف ، فما عرضت علي أن اصحبك حتى فعلت وصوت الجوع يهمس في أذني ، فمت ذلك الرجل اجتمع الشيق فأسات بك الظن « أما الآن فيطيب لي أن أذكر اني لقيت رجلا لا فهل لك ان تنفر لي سوء ظني على هذا الاساس من الثقة والحنان ، والاكبار والاحترام ، والتجاوب الروحي ، وعلى دعائم الالم والفهم لظواهر الاشياء وخباياها تأسست وتركزت الصداقة بيننا

طرأ على حياة الرفيقين ، حين وجد الفتاة يطوه الوجوم وانشجن الامر الذي أقلق وحرك فيهما فأسد وهو المطور على التطف على الايدي الناعمة والاستعانة بالسيدات الوضاءة يستهدف كل منه هدفاً جديداً ويتغذى من معين جديد ، غافلا عن استطلاع كنه شجن رفيقه وسبب وجومها ، وأخذت هي تجد في النظر الى مستقبل حياتها ، وتسل بلباقة المرأة ودهائها على الا تدع رجلها يغلت منها

لم تكن تلازم تيار الرجل اعتماداً على جاهها وثقتها بل كانت تجاريه بسليقة الفتيلة والبسيطة الطيبة والمطرقة الصابرة حتى وقت عودة الشاب الى وطنه وقد أتم دروسه ، وتحدد موعد السفر ، فلم تطق الفكرة الذهاب الى المحطة خوفاً من افتضاح حبها الصامت ووجلا من أن يخونها جلدها ، بل حملت احد المودعين كتاباً قالت فيه « .... أما اليوم فني أبدي لك هي غير خائفة منك سداً ولا هزؤاً .... كتبت اليك لا لادخل الحزن فؤادك أو أنكد سفرك بلمحة فتاة حقاء ، بل لاعد ذهنك لامر جلل .... وان تنظر في دني الذي جئته عمداً عليك وعلى بريء نالت هو ثمرة حبي القارئك ووليد انانية عمياء دفعني اليها حب الحياة دفعاً .... لقد عرفتك بإخلاء الدين كريماً شريفاً ابوياً وسيكون ابنك أنموذجاً كريماً .... اعتقد ان المرأة المحبوبة غريبة من بؤرة الرذيلة طالما هي مخلصة تحب بصدقها لنفسها ، اما المرأة التي وهبت حياتها على انسان تحب وتحترمه فلا خوف عليها من الرذيلة ولو مزقتها انياب الفاقة .... رجائي الاخير ان تذكرني باخلاء من آن الى آن ، بينك وبين نفسك ، فان ضلت سعدت وسعد ابنك »

* * *

فهم حب اخلاء الدين لصديقه ايلزا كما تفهم الحياة في البقرة ، ولم يبق منه سوى ذكريات درست الاحوال الجوية رسومها وعدت شعوبها ، والشباب بكوخه من تلافيف في دماغه لا يمحى من رسوم وصور وحوادث وذكريات لا يعود اليها الا في ساعات الاسى المؤلمة ، او الكآبة والسأم التي تبدع صور وذكريات جديدة ، او مفاجأة سارة مدوية ، وقد تكون تجمعت هذه المظاهر دفعة واحدة لتقلب اخلاء الدين الى احد الفلاحي ليرى الراقصة المكاتبة التي اسرت لب صديقه الموظف في الحكومة الذي كانت ينتظر الحصول على المال ليغدق على مائدة الشراب وهو الذي عاش حياة الكرعة والسجايا

الثانية لهذه الراقصة المجبرة من طينة تختلف عن الفتاة الثلاثي عرفن

عرفت ايسكا علاء الدين ولكنه لم يعرفها أبدا ، لقد عرف أيلزا قبل أثني عشر عاماً فتاة ، تتدفق الحيوية من عينيها ، والفتنة من تضارة شبابها ، والبساطة في هندامها المتواضع ، أما الليلة فهي سيدة أنيقة مرحة لعوب ، عملت أيدي التزيين والتنميق في شعرها وعينيها ووجهها وبدنها وثوبها كما شاءت الطبيعة الجائرة اخافرها في رقتها وهو اذ ينظر الى عينيها « هذا مرما تسطان بريق غير طبيعي يرتسم الوهن والضعف في نصف الهالة البنفسجية المحيطة بمحجريها » لقد عرفها حقاً وتجلت صورتها في ذهنه ساعة رآها مساجة في سريرها مدثرة لا يظهر منها سوى خصلات شعرها الذهبية ، وسمع صبا وهي تلهث وتسعل قصة جديدة ، قصة والدها الذي ربته وعملت لان يكون صنو أبيه ، وكيف جاهدت وذللت الحياة لتكسب ما يوفر الهناءة والسعادة لذلك الوالد الذي سكبت فيه روحها وحبها ولكن الاقدار رزأتها فيه ....

لقد اضاعت المسكينة كل شيء وأصبح ما حولها فراغاً ، فأخذت تطلق احزانها وتُمر ، وتدغم بكاءها بالضحك ، وتبرقم سهومها بجنون الرقص وهي الآن تدعو علاء الدين الى الاقتراب لتودع بين يديه نفسها الاخيرة كما حيت من قبل النعمة المقدسة من حبا المقدس

***

هذا ملخص مقتضب لهذه القصة الخالدة بما تزخر من الفن لا تجد لها مثيلا الا في خزائن ابطال القصة من الغربيين ، وكان بودي لو يتسع المجال للتبسط في عرض خلاصات وافية لبعض فصول هذه القصة الرائعة . الرائعة في خصائصها الفنية ، في كيفية العرض وطريقة الاسلوب ، في طبيعتها الموضوعية والذاتية وما يعتمد فيها على قوة الملاحظة ، وبراعة الاستقراء في رسم الاحساسات والميول الخاصة والعامة وتزجيتها لتصبح كأنها الروح الشائع في الجسد ، في بصيرة كاتبها النافذة ترى حقائق البواطن والظواهر ، ودوافع الجسوم والارواح ، وتعرف طبائع الاشياء والاشخاص من خلال الظلمات والانوار ومن شتى انفعالات النفس

الرائعة حقاً في اظهار مؤلفها البارع ببراعة طبائع الشهوات ونزوات الغرائز ، في مقدرته على اشعار القارىء بفلك من فهم الحقائق وصور الخيال التي هداه اليها في جعل التصورات المبتدعة من صميم الحيال تتمشى مع طبيعة الحياة المحسوسة ، في انصالها عن ظواهر الحياة الحادثة ، في الايحاء الكنيي الى اشخاص القصة التي يهم في محمرة الحوادث وفي رسم ملامحهم وحركاتهم وما يطرأ عليها خلال اصطدامها بوقائع الحياة ، في انصباب الشغاف الذي يرتمي به وجه الحياة احساس المتقلب والتقاره فيما حسب الاستطلاع وغريزة الغضون

والرائعة حقا وحقاً في التحليل يقضي على العواطف بتشليها من وهاد النفس ليطرحها في النور ، في تغليب العقل على ملكات الاستشعار والاستبداد ، في المزج بين خصائص العقل الذراع الى المنطق والنظام والتدريب والبناء وبين خصائص الخيال الفياض المبدع

لقد استجليت هذه المزايا الفنية في قصة « تحت الليل » وانى اذ أحتفي كل الحفاوة بالكتور شكيب الجابري وأدعو القارىء الى الاشتراك معي في الترحيب به واجلاله اتقاء الاول ، لبراعته في فهم هذه الخصائص واتقانها في جوانب هذه القصة التي تضم قبسا الروح وترتمي لحياة واخيال الحب

ولو حاولت الانتقال من التعميم الى التخصيص لذكرت الحوار البارع ، والسخرية الدامية ، والنكتة المفلجة والنصح السديد ، والسخرة الحارة الى اغراض بدوية وتختي وفق المناسبات ، والى وثبات ومضات تلك بين راعتي الدهشة والاعجاب

لا أحسب اجمال يسحر ، وتلك يجعلني اتحفظ عن ليس بفائق ومباهر ، غير اعتقد في هذه القصة تمثل المؤلف اتجاه كان ، سيرا على الدوق ، بعيدة عن الاسلوب التصنعي المتكلف مثل ذلك « قد » اق الجين في فؤاده « زاد ... وقد الذي يزيد بلا نقص » و « ... » و « ... » صحك ل فتور « وحرارة » وهو ... « ... » و « الفي » ان يكون في لسان كل والقفاء ، وعشرات من كلمات ليس في الامكان ... الموغلة في المقولات من قوة ... وكل ... الزكي بانبات كل سيئة نقد المعنى ... لا تعصر ... الى الجوهر ... التعبيرية ... جوهر الموضوع ... يحتاج ... لا تشك ... روح تصنعي ... موهوب

القاهرة حبيب الزحلاوي